

السواح

تحكي لنا أمنا ايريني عن السواح :

السواح أصلاً ناس بسطاء عندهم نقاوة وطيبة أغلبهم غير متعلمين ومن أصحاب الحرف : بنائين .. تُجار.. صنّاع .. ومعظمهم علمانيين عايشين متبتلين .. فيهم كام واحد أجنب .. والبناات عندهم قليلين خالص.. والسواح بيتواجدوا باستمرار في الأماكن اللى فيها محبة. وبيبقوا على درجة روحانية عالية، كل واحد في حاله وله عمله ومفیش حد منهم بينشغل بغيره، وهم بيحسوا بينا واحنا عايشين بصلواتهم ..

أحياناً بيروحوا يشفوا مرضى لكن أساساً خدمتهم مركزة في الصلاة والتسبيح .. واللى بيروحوا سياحة، بيكونوا بيحبوا ربنا من كل قلوبهم وقلوبهم نقى ومش بيشكوا في حد ومبيفكروش في الإساءة وبيحبوا اللى أساء إليهم يعنى بيحبوا الكل وعندهم محبة كبيرة لربنا وللناس وهى دى الوصية اللى بتوصلنا ..

بصراحة المحبة هى اللى بتدينا استنارة روحية ودى اللى بتفرح قلب ربنا يسوع المسيح .. محبتنا لبعض وإن الواحد بيدى غيره على نفسه في كل حاجة، ويعمل أى عمل فه انكار ذات وصمت وبيبقى فرحان .. هو ده اللى بيوصلنا، طبعاً مع العمل بالوصايا.

ملابسهم :

أحياناً بيلبسوا أسود بس لونه بيكون مجرب .. لانهم بيروحوا مثلاً لتاجر قماش تقى ويصلوا في المحل وبيباركوه وياخدوا فضلات القماش، علشان كده نلقى واحد لابس قماش دمور، والثاني لابس قماش مخطط، والثالث لابس لغاية الركبة لأنهم ما بيخدوش توب كامل، بياخدوا بواقى القماش فقط .. اللى يلاقوه قدامهم.. أى فضلة.. وبيكونوا عاملين صلبان صغيرة بسيطة من أفرع الزيتون ويسيبوها بركة في المحل لما يفتحوا المحل يلاقوها..

ومثلاً لما يكونوا عايزين بذور يزرعوها، يروحوا عند تاجر بذور تقى بيحب ربنا وياخدوا من عنده شوية بذور قليلة ويسيبوا مكانها صليب، لأن ما عندهمش فلوس. بياكلوا مرة واحدة في اليوم في الساعة التاسعة.

شغلهم :

كل واحد منهم ماسك عمل، إما القربان .. أو في الجنية فيه أكثر من واحد .. هما مرتبين شغلهم. وفي الزراعة يزرعوا نخل وخضروات : فجل وجرجير .. ويضفروا خوص، يعملوا منه حصيرة يناموا عليها ويتغطوا بيها، نصها تحتهم والنص الثاني فوقهم.

أماكنهم مخفية عن العين :

نلاقيهم في مجموعات .. مجموعة في جبل الأنبا أنطونيوس وفي سمالوط .. وفي جبل المحروسة ودرونكة بأسبوط .. في جبل إسنا .. وفي جبل الشرق بجرجا .. وفي جبل الطور وسانت كاترين في سيناء وكمان في صحراء عجبية في مرسى مطروح ...

مرة من المرات قالوا لى تعالى اقعدى معانا ثلاث او اربع ساعات، فرحت وامبسطت خالص وعطوني بلحة وصمموا إني آكلها وما أشيلهاش في جيبي .. ولما طلبت منهم إني أقعد على طول معاهم، قالوا لى : "ما ينفعش لأنك معروفة، ولو اختفيتي ده هيعمل ضجة كبيرة في الكنيسة ..".

بيبنوا بأنفسهم مغارات بعيدة عن بعض ويبينوا كنايس بالحجارة .. وفي منهم مجاميع بيسكنوا في أكواخ من الجريد والطين .. كل واحد بيعيش لوحده في كوخ وفيه سور صغير حوالين المغارات او الاكواخ زى دير، بس مش مختلطين ببعض، ميعرفوش حاجة عن بعضهم يعنى ده عمل إيه والا بيشتغل إيه.

صلواتهم :

بيصلوا صلوات السواعى في أوقاتها .. وكل واحد منهم بيصلى التسبحة لوحده؛ ولما يحبوا يصلوها مع بعض، بيكونوا متفقين .. كل مكان فيه كنيسة صغيرة لها باب واطى وحوش كبير وفيها أيقونات أثرية .. تصلى فيها المجموعة مرة واحدة كل أسبوع يوم الأحد .. وفي أسبوع الآلام والأعياد الكبيرة في الكنيسة بيتجمعوا عند القديس العظيم الأنبا أنطونيوس يصلوا ويتناولوا ويقعدوا مع بعض يتكلموا عن ربنا وبعدين يتوزعوا ..

كل الآباء القديسين وصلوا ازاي للقداسة ؟

تعبوا وجاهدوا .. كان فيه حروب كثير في حياتهم وكانوا بيتألموا كثير، ولكنهم كانوا بيتشددوا ويزدادوا قوة بالصلاة. الإنسان لما يحب ربنا من كل قلبه ويصلى بعمق وروحانية، الروح تبقى قوية جداً وتتغلب على الجسد ..

الصلاة هي كل شيء في حياتنا، وبقوة ربنا وبالصلاة نستطيع كل شيء .. فعلاً بنقرأ الكتب علشان نقدر نصلى.. طبعاً القراءة تجمع العقل وتعطينا استعداد وتأهب، لكن لما نقعد مع ربنا في الصلاة بانسحاق ناخذ منه نعم كثيرة زي الاحتمال والمحبة والإفراز .. الصلاة بتدي اتضاع وفرح وسلام .. أحياناً ربنا يعطينا عطايا ما نستاهلهاش، يعطينا علشان يشجعنا ويجذبنا لمحبهه ويعرفنا بذاته .. كثير من أولاد ربنا نالوا قوة إلهية عن طريق الصلاة..

فياريت كلنا ننتهز أى فرصة نقدر نصلى فيها .. مين يقعد مع ربنا وما يبسطش؟! .. مين يقعد معاه وما يفرحش مهما كان؟! ممكن نصلى وإحنا في شغلنا .. نتكلم مع ربنا والكلام ده صلاة .. يبقى لما نيجى نقف نصلى صلواتنا بالمزامير، تبقى بعمق واتضاع وانسحاق ومحبة كبيرة .. كل واحد اختبر حالات النعمة اللى ربنا بيعطيها له ..

الصلاة محدش يقدر يعلمها للثاني، دى حاجة تتحس .. لما نقعد مع ربنا ونتعامل معاه من أعماقنا، هنستفيد ونتعلم الصلاة .. وهو ربنا نفسه يعلمنا الصلاة .. ويعزينا في كل مناسبة ويرد علينا .. ويعلمنا ازاى نناجيه في آلامنا .. وفي كل مرة نقعد فيها مع ربنا نطلع بخبرة جديدة.

الواحد لما يصلى، يحاول يتأمل في الكلام اللى بيقله .. الواحد ساعات خصوصاً وهو بيصلى ارتجالى ممكن يلاقى نفسه بيقول كلام غير اللى يفكر فيه .. لأن ربنا نفسه بيعلمه الصلاة.

لو الواحد شعر بملل أو ضجر ومالوش نفس يصلى وقال أنام وأستريح ولو خمس دقائق، هينام على طول ومش هيصلى لأن الشيطان بيكسلنا؛ لكن ممكن نقول ترتيلة أو لحن أو نقرأ اصحاح نعمل بيهم استعداد للصلاة ونشجع نفسنا .. ونقول :

"ياست ياعدرا قوينى علشان أتكلم مع ابنك الحبيب .. خلىنى أقدر أصلى .." وأقول له: "يارب ساعدنى.."
نلاقى على طول ربنا استجاب ويقول : "تعالوا انتم هتطلعوا بخبرة حلوة جديدة .."

التعزيات ما تجيش إلا بالتعب .. نتعب .. نصبر .. نحتمل .. تيجى التعزية وتنسينا التعب والألم .. وحياة القديسين كانت صبر وجهاد وآلام وتعزيات لأن التعزيات هي اللى بتشجعهم على المشى في الطريق، مش شرط نشوف اعلان .. كفاية لما الواحد يصلى بدموع وانسحاق، بيحس بفرح وسلام جواه .. مش دي تعزية؟ طبعاً تعزية كبيرة..

والكتاب المقدس يقول : "بضيقات كثيرة ينبغي أن ندخل ملكوت السموات .." . (أع ١٤ : ٢٢)

عموماً الواحد لما يبجي يبدأ يصلى ويبقى مش قادر يصلى، يغصب على نفسه ويقول لربنا: "أنا مش عاوز غيرك .. انت اللى بتعزيني وبتفرح قلبى". ويفضل يكلم ربنا .. يلاقى ربنا أعطاه نعمة من عنده يصلى بيها ..

أنا هأحكى لكم حاجة بسيطة من خبراتى : فى يوم دخلت قلايتى بعد مشكلة وشد وخلاف مع بعض المهندسين اللى بيخدمونا فى كرير .. كنت فى ضيق شديد، فقعدت أصلى وأقول له : "يارب أنا عايزة خلاص نفسى .. أنا إيه اللى استفدته .. أنا مش ممكن أدخل السماء، وحياتى وأبديتى هأفقدتها .." وصعبت عليا نفسى وبكيت بحرقة شديدة ..

فلقيت نفسى ماشية فى صحراء وشففت باب دير أثرى .. دخلت لقيت باب كنيسة أثرية كلها أيقونات أثرية وفيها روحانية عجيبة وعميقة وكلها رهبان منهم ثلاث أو أربع راهبات واحدة منهم أمنا عزيزة من ديرنا وكان شكلها سنها صغير أقل بكثير عن السن اللى تنيحت فيه ..

كنت طول القداس متأثرة ولسة متضايقة وبافكر أتناول والا لأ .. فجت لى أمنا عزيزة وقت التناول وطببت عليا وقالت لى : "ربنا يسوع المسيح بيقول لك اتناولى ..".

قلت لها : "صحيح يا أمنا عزيزة وأنا لسة زعلانة .."
قالت لى : "خلاص، الزعل ده هيروح، بس لما تزعلى ما تبقيش تتنرفزى وقولى كل اللى انتي عايزاه من غير نرفة .. وكمان زعلك ده مش علشانك، ده علشان مصلحة الدير".

اتناولت واتعزيت جداً .. والعجيب إن الآباء الرهبان اللى كانوا حاضرين القداس كان منهم أجنب، وربنا عطانا ان كل واحد يسمع القداس بلغته ..

وبعد القداس كل الرهبان انصرفوا وجات لى أمنا عزيزة، وسألته: "الملكان ده فين ؟ فى الأرض ولا فى السماء؟"

فقالت : "ده دير رهبان على الأرض، لكن مش فى مصر .. والرهبان دول منهم من الأرض ومنهم من السما وكلهم عندهم نقاوة كبيرة،"

سألته : « طب ايه اللى جاب السما على الارض؟»

فقالت لى : «لما بنروح السما بياخدونا نزور كل مكان فيها .. نزور الست العدرا ونشوف مجدها .. ونزور الشهيدة دميانة وكل آبائنا وأمهاتنا الشهداء والقديسين .. أنا يدوبك مخلصه زيارة السماء كلها. بعد كده بيفرجوننا على كل مكان مقدس فى الأرض احنا ما شفنا هوش .."

فقلت لها : "يدوبك أنا فهمت دلوقتي لما الراهبات الكبار كانوا بيقولولي اللي ما شفنا هوش في الأرض، هنشوفه واحنا في السماء .."

وبالمناسبة الآباء السواح باستمرار بيعطونا بركة وبييجوا يصلوا عندنا في الدير في كنيسة الست العدرا وأحياناً ربنا يسمح بأن الآباء الكهنة أو بعض زوار الدير يشوفوهم .."

واحد من الآباء الكهنة بيحكينا :

"حضرت ذات يوم إلى الدير للقيام بخدمة القديس الإلهي ودخلت كنيسة السيدة العذراء؛ وعند قيامي بفتح ستر الهيكل، وجدت شخص متوسط العمر .. نحيف.. لابس جلابية قصيرة واقف في المذبح، فسألته :
"انت مين؟!"

فقال : "أنا سايح من سواح عجيبه جاي أحضر معكم القديس." وفعلاً حضر القديس وابتدأ يتناول وعند صرف ملاك الذبيحة شفته بيرتفع لفوق وهو بيقول : "قدوس .. قدوس .. قدوس .." واختفى من قدام عيني .. وبعد انتهاء القديس، خرجت من الكنيسة وقلت لأبنا الرئيسة فعرفت منها أنها شافته وأنها سبق شافته مع اخواته في عجيبة ..

وفي شغف لمعرفة المزيد عن حياة هؤلاء العمالقة في الروح، كنا نطرح على أبنا الغالية العديد من الأسئلة، وكانت بعد إلحاح تجيب علينا. وهذا يذكرنا بما ورد في سيرة القديس الأنبا أنطونيوس أب الرهبان اللي كان بيعاين كثير من الرؤى، ومكانش عايز يتكلم عنها ولكنه عندما كان بيقتضي وقت طويل في الصلاة متعجباً ومتحيراً، ويضغط عليه الذين معه بالأسئلة، فكان يضطر إلى الكلام كأب لا يستطيع أن يخفى شيئاً عن أبناؤه، وكان يعتقد أنه طالما كان ضميره خالص فإن شرح هذه الأمور ينفعهم لكي يعرفوا أن النسك يأتي بثمار جيدة، وأن الرؤى كثيراً ما تكون عزاء عن أتعابهم.

هل السواح لهم درجات كبيرة وصغيرة ؟

السواح لهم درجات في السياحة زي الرهبنة، وكل مجموعة لها كبير تستشيريه، ولهم رئيس عليهم كلهم .. والإرشاد والقوانين عندهم للتقدم في الروحيات والفضائل .. لما ينضم واحد جديد للسواح، بيصلوا مع بعض ويقعدوا يحكوا له عن ربنا والسماء .. ويعلموه نظامهم ..

كيف ينتقل السواح من مكان لآخر ؟

أحياناً الناس اللى عندهم نقاوة ومحبة كبيرة لربنا تنتقل فعلاً بالجسد والروح وأحياناً بالروح فقط، بس الروح مش بتخرج من الجسد ولكن بتبقى أقوى من الجسد .. فالروح تسيطر على الجسد وتأمرة، فتقدر تروح المكان الفلانى أو غيره .. والسياحة ممكن تكون بالروح وممكن تكون بالجسد والروح .. لما الآخرين يشوفوه بهيئته الكاملة ولو حد لمسه يحس بلحمه وشحمه، تبقى سياحة بالجسد والروح؛ لكن فى حالة السياحة بالروح، يحسوا به فقط بالروح.

وفى السياحة اللى بالروح والجسد طبعاً دى قوة ربنا بتنقلهم، مرة على سحابة نورانية زى مركبة يركبوها .. مرة يلاقوا نفسهم طاييرين .. قوة ربنا شايلاهم أو الملائكة .. وبنسمع صوت زى قو قو قو من السرعة اللى بيتنقلوا بها للمكان اللى هيروحوه ..

أذكر حكاية قالها لنا والدى عن ابن عمه اللى كان عايز يترهبين لكن أهله ضغطوا عليه وجوزوه .. فى موسم الحصاد كان يسهر عند شونة القمح يصلى ويسبح ويعمل مطانيات طول الليل .. ففى مرة وهو بيعمل مطانيات شاف سواح طاييرين فى الجو وملائكة شايلاهم وبيقولوا : "قدوس قدوس قدوس" وبعدين طلعا لفوق واختفوا .. ومرة تانية نزلوا وصلوا معاه نصف الليل وبعد كده كانوا باستمرار بينزلوا ويصلوا معاه.

ازاى الشخص اللى بينضم لمجموعة السواح بيروح لهم ؟

أحكى لكم عن واحد كان متبتل من الورديان بالإسكندرية عنده حوالى ١٨-٢٠ سنة كان بيشتغل فى دكان بقال وبيتهم على قد حاله .. الولد ده كان تقى جداً عامل بوصايا الإنجيل ويعترف بدقة ويتناول، كان عايش فى هدوء وانكار ذات وصمت عجيب، فأهله كانوا فاكيرين إنه عايز يترهبين .. وفى يوم من الأيام راح يفتح الدكان بدرى فلقى واحد نحيف قوى وقال له : "أنا جاى أخذك علشان تعيش معانا، احنا ساكنين فى جبل مطروح وراء عجيبة، فقول لأهلك علشان ما يتخوش عليك، وقول لصاحب الدكان انك مش هتروح له علشان هتعيش مع السواح .. وأنا هاجى اخذك فى الميعاد ده زى النهاردة". فلما حكى لصاحب الدكان، قال له : "ياابنى معقولة !! وأهلك هيعملوا إيه ؟.."

فقال له : "ربنا أكيد هيفرحهم .." وعلشان أبوه يطمئن عليه، جه لغاية الدكان فى نفس الميعاد واتكلم مع السايح بنفسه وشعر بسلام عجيب .. والسايح قال له : "بص هتيجى قوة إلهية وتشيلنا ونطلع لفوق، متخافش انت هتشوفنا بترتفع ونقول قدوس قدوس قدوس ونمجد ربنا ونغيب عن عينك ..".

وفعلًا قعدوا يرتفعوا ويقولوا قدوس لغاية ما غابوا عن عينه .. أهله كانوا بيحكوا للناس .. قعد شهرين مع السواح وبعد كده رجعوه لبيتته وقال له السايح : "انت هتشوف أهلك علشان تطمئنهم، وقول لهم انت إزاي عايش مبسوط"، وفعلًا قضى يوم معاهم، فقالوا له : "يابختك ياولدى صلي من أجلنا". فقال لهم : "متحكوش للناس تانى، اشكروا ربنا وبس".

أنا سمعت الكلام ده بنفسى من أهله .. هو كان بسيط وطيب خالص. بصراحة البساطة والنقاوة بتساعد على النمو الروحى .. والسواح لما كانوا يلاقوه بيعمل حاجة غلط - لأنهم هم برده بشر - يرشدوه للصح. وبسرعة اتعلم منهم، وهو أصغر واحد فيهم.

بصراحة المحبة هى اللى بتدينا استنارة روحية ودى اللى بتفرح قلب ربنا يسوع المسيح .. محبتنا لبعض وإن الواحد بيدى غيره على نفسه فى كل حاجة، ويعمل أى عمل فى انكار ذات وصمت ويبقى فرحان .. هو ده اللى يوصلنا، طبعًا مع العمل بالوصايا.

عايزين نعرف حكاية ماريما السايحة اللى مع سواح عجيبه ؟

هى من قرى الصعيد، كان عندها نقاوة كبيرة وبراءة زى الأطفال بس بحكمة وكانت تحب ربنا قوى قوى.. كانت فى المدرسة، تقريباً فى تانية ثانوى، وكانت عايزة تترهبين .. ومكانتش تعرف سكة أديرة ولا تسمع عنها لأنها من قرى الصعيد الجوانى ومكانتش جات مصر خالص ..

فى يوم جه واحد من السواح وقال لها : "انتي هتبقى معانا".
فقالته له : "طب انت مين ؟.."

فقال لها : "أنا سايح .." وهى كانت بسيطة ما تعرفش حاجة خالص عن السواح، فسألته : "يعنى إيه سايح؟"
فقال لها : "كذا وكذا وكذا .. وقولى لأهلك إن هيبجى وقت وناخدك معانا .."
فقالته لأهلها: "أنا هأروح مع السواح .. متخافوش". فأهلها كانوا طيبين، فقالوا لها: "يابختك يا بنتى ياهناك.."
وفعلًا فى يوم لقوها سايبه لهم رسالة : "زى ما حكيت لكم، جم السواح وأخدونى ..".

وراحت ماريما مع السواح وهى صغيرة .. وكبرت عندهم واتنيحت فى سن الأربعين. أنا سمعت عنها وشفتها.. هم فعلًا بشر سمائيين وملايكة أرضيين بس الإنسان إنسان .. وعددهم حاليًا بيقل.

مقتبسة من كتاب الدير عن تماثا ايريني وتم تنسيقها بواسطة www.tamavireneforall.com

بعض من السواح المعروفين في الكنيسة القبطية

الانبا بولا أول السواح

ابونفر السائح

القديسة مريم المصرية السائحة

انبا غالين السائح

انبا ميصائيل السائح

القديسة بيلاجيا التائبة

انبا كاراس السائح

انبا توماس السائح

انبا ايليا السائح

الانبا يوساب السائح

الانبا بيجمي السائح